دور التراث العلمي واللغوي

في وضع المعجم العربي الحديث المختص*

د. عبد اللطيف عبيد

المعهد العالي للغات، جامعة تونس

المصطلح قوام المعجم المختص، وأداة رئيسية لا غنى عنها في نقل العلم والتقانة وتبادلها ونشرهما وتوطينها بالترجمة والتأليف والتدريس والإعلام.

والمصطلح علاقة بين مفهوم وتسمية، أو هو، بعبير أدق، تسمية تختص بالدلالة على مفهوم علمي أو تقاني أو حضاري في مجال محدد.

ويطرح موضوع التسمية من زاوية ما يسمى في علم المصطلح بالموارد المعجمية أو المصطلحية، ومن المعلوم أن المفهوم سابق للتسمية، وأن التعامل مع المفاهيم وبما

**-قدم هذا الحث في "الندوة الدولية للمعاجم اللغوية والمختصة" التي نظمتها جامعة الكويت (قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب) بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي والأمانة العامة للأوقاف، وذلك من 14 إلى 1999.

يقتضي تسميتها القديمة الموجودة في اللغة؛ أي إعادة استعمالها أو إحيائها وهذا بالنسبة إلى المفاهيم المعروفة المتداولة، أو المفاهيم المعروفة المتداولة، أو المفاهيم الجديدة التي لها علاقة مشابهة بالمفاهيم القديمة؛ أو بتوليد التسمية من اللغة توليدا لفظيا بالاشتقاق أو التركيب أو النحت أو الارتجال، أو توليدا دلاليا بالمجاز أو الترجمة الحرفية؛ وإنا باقتراض التسمية من لغة أجنبية أو من مستوى آخر من مستويات اللغة المعنية، وعلى صعيد أهمية استخدام هذه الوسائل يأتي استخدام التسميات الموجودة، ولا سيما التسميات التراثية منها، في المقدمة؛ وذلك لسببين رئيسيين: لغوي وحضاري ويتمثل السبب اللغوي في أن استخدام المصطلح التراثي ضرورة تحتمها حقيقة اللغة؛ وهي أنها مؤسسة اجتماعية ومالك للجماعة، لذلك فإنه من واجب الفرد أن يستخدمها كما وصلت إليه، وألا يغير فيها أو يخرج عنها إلا لأسباب وجيهة، إضافة إلى ضرورة توافر المعايير المقبولة في البديل الذي يقمه أما السبب الحضاري الذي يجعل من الرجوع غلى التراث أمرا ذا أولوية في وضع التسميات المصطلحية، فهو ما نعلمه من حرص العرب على استمرارية لغتهم ووحدتها عبر الزمان، وتجنب قطيعتها عن ماضيها، إضافة إلى حرصهم على وحدتها عبر المكان.

وما فتئت المجامع والهيئات العملية واللغوية والندوات المصطلحية تشدد على أهمية التراث وضرورة إيلائه الأولوية في ما يستخدم من وسائل لوضع المصطلحات الجديدة.

من ذلك أن "ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي "التي يعقدها بالرباط مكتب تنسيق التعريب من 18 إلى 1982/2/20 قد نص المبدأ السادس من "المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها" التي أقرتها على "استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت".

وقد كان للتراث اللغوي والعلمي أثر واضح في ما وضع من تسميات مصطلحية في بداية النهضة الحديثة في البلدان العربية عامة ومصر خاصة؛ من ذلك أن كثرة الكتب الطبية التي ترجمت في عهد محمد علي قد تطلبت عمل قاموس طبي بالوضع أو الترجمة، "فأحضر كلوت بك من فرنسا" قاموس القواميس الطبية" Dictionnaire des dictionnaitre de médecin" تأليف قابر Fabre وهو في أجزاء ويشمل على جميع الاصطلحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتصلة بالعلوم الطبية" [*].

ويذكر الشيخ محمد بن عمر التونسي أن مدرسة الطب قد تعاونت بكل هيئاتها عن ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية"ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك "وهو الدكتور برون"على مهرة معلميها (...) فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيع

[*]-جمال الدين الشيال: "تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي" ، دار الفكر العربي، القاثرة 1951، (228+79ص) ص 192.

لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه"[3]. على أن الدكتور برون قد أحب إثراء هذه الترجمة بالألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة، فوزع القاموس المحيط للفيروز أبادي على فريق المترجمين، وأشرك معهم مصححي المدرسة . ومنهم الشيخ محمد بن عمر التونسي . وأمر كلا منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، وينتقي منه "كل لفظ أو عرض، وكل اسم نبات أو معدن أو حيوان"[4] ويذكر التونسي أن الدكتور برون خصه" باستخراج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داوود من كل معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة، ومختصر الصحاح، وما في الهروي من التعاريف الصحاح" (4)وكانت نتيجة هذا العمل المصطلحي الجماعي المهم معجم "الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية"(5).

وعلى الرغم من أن أثر هذا المعجم في الأعمال المصطلحية اللاحقة قد كان ضعيفا بسبب عدم نشره وتداوله، فإن منهجية إعداده دالة على وعي بضرورة ربط حاضر اللغة العربية العلمية في النصف الأول إلى معان اصطلاحية علمية وتقنية، ويرى مصطفى الشهابي في سياق حديثة عن النهضة العلمية في مصر في القرن التاسع عشر "أن النقلة والمؤلفين والمصححين فيها كانوا رواد نقل العوم الحديثة إلى لساننا، وأنهم كانوا يرجعون في تحري المصطلحات العربية إلى كتبنا القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظ صحيحة وقد استطاعوا الانتقاع بجملة صالحة منها في مختلف

---

[3]–نقلا عن المرجع نفسه، ص 192.
[4]– نقلا عن المرجع نفسه، ص 192-193

العلوم التي عالجوها بالترجمة أو بالتأليف (...)ومع هذا مما لا مشاحة فيه أن مصطلحاتهم المقتبسة والموضوعة كانت نواة جيدة لجميع من ألفوا بعدهم كتبا علمية بلغتنا الضادية"*

وفي النصف الأول من القرن العشرين طرح موضوع إحياء التراث العلمي اللغوي بهدف الإفاة من مصطلحاته وألفاظه في وضع المعجم العربي الحديث المختص وذلك في إطار المجامع ولدى المصطلحيين الأعلام؛ ونعني بهم خاصة محمد شرف مؤلف "معجم العلوم الطبية والطبيعية" وأحمد عيسى مؤلف "معجم أسماء النبات"، وأمين المعلوف مؤلف "معجم الحيوان"، ومصطفى الشهابي مؤلف "معجم الألفاظ الزراعية"†، ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي مترجمي "معجم المصطلحات الطبية" للدكتور أ.ل كليرفيل‡، وقد دعا مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى ضرورة العودة إلى التراث العلمي لدراسته واستقراء مصطلحاته وجردها؛ بهدف تكوين المدونات المصطلحية التراثية الوصفية لينطلق منها في العمل على التسميات التي ينبغي للمعجم العربية الحديث أن يتضمنها بالاختيار أو الوضع، وقد

---

*-مصطفي الشهابي: "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث" ، ط2 المجمع العلمي العربي، دمشق 1965، (219ص)،ص45.

†-انظر حول هذه المعاجم الأربعة المرجع التالي، مثلا: محمود حافظ: "اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء" ، مجلة مجمع اللغة العربية، 33 (مايو 1979)، ص 79-89.

‡-انظر حوله: إبراهيم بن مراد: "المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلية العربية"، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985 (353ص)، ص 271-308.

تجسدت هذه الدعوة خاصة في قرارات . أي توصيات . أصدرها المجمع، ونشير منها إلى قرارين صدر أولهما في الدورة الثانية عشرة (1945) وثانيهما في الدورة الحادية والعشرين (1954) وينص القرار الأول على أن "ينظر المجمع في اختيار مختصين بشؤون العلوم العربية لإخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية، وعرض كل فرع على اللجنة المختصة، وإذا لم تكن لجنة مختصة تكشل لجنة جديدة"* أما القرار الثاني فينص على أن "تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية، ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه، بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعريب"†، على أننا لا نعرف لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ولسائر المجامع العربية أعمالا تطبيقية شاملة في مجال إحياء المصطلح العلمي العربية القديم، على الرغم من تواصل الدعوة إلى هذا الإحياء سواء في مؤتمرات هذه المجامع أم على صفحات مجلاتها.‡

---

*-مجمع اللغة العربية مجموعة القارات العلمية في خمسين عاما 1934-1984، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وابراهيم الترزي، القاهرة 1984، (326ص)،ص 232.

†- المرجع نفسه، ص 233.

‡- انظر مثلا: عبد الكريم خليفة: " دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات" في: "اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، مجموع اللغة العربية الأردني، عمان 1987، (291ص)، ص 243-262 حيث يقول (ص 259): " ونحن نعتقد أنه من الواجب أن تنبري إحدى ..... الجهات العربية من خلال مؤسساتها العلمية، لكي تقوم بتكليف المتخصصين باستقصاء المصطلحات والتراكيب اللغوية التي استعملها العلماء في الكتب التراث العلمي العربي في مختلف فروع المعروف، وترتبها ترتيبا معجميا وفق موضوعات العلوم وجزئياتها، لكي تيسر عملية اختيار المصطلح الحديث وتحديده، وتدفع بعملية استيعاب اللغة العربية للعلوم والتقنيات الحديثة على طريق السير السريع والأصالة".

أما المصطلحيون الأعلام الذين سبق أن أشرنا إلى أبرزهم في النصف الأول من القرن العشرين فقد جمعوا بين التخصص العلمي والخبرة اللغوية ومعرفة التراث والقدرة على التعامل معه، وقد سمح لهم ذلك بالعودة إلى أمهات كتب اللغة ومؤلفات العلماء القدامى، فأفادوا منها إفادة واعية، وإن كانت، غالبا، محدودة وجزئية بسبب ضخامة التراث اللغوي والعلمي وقصور الجهد الفردي عن استيعابه، وتتضح إفادة هؤلاء المصطلحيين الأعلام، من التراثين اللغوي والعلمي، سواء من خلال مقدمات معاجمهم مما اقترحوه من مقابلات عربية تراثية للمصطلحات الأجنبية الانجليزية أم الفرنسية.

فمصطفى الشهابي في مقدمة معجمه الشهير: "معجم الألفاظ الزراعية"* يعدد أنواع المؤلفات المعجمية والمصطلحية التي رجع إليها فيذكر، بالنسبة إلى كتب اللغة، أنه عمد "في تحري أصلح الألفاظ العربية إلى الأمهات من كتب اللغة، ولا سيما المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروز أبادي"†أخرج منها عددا كبيرا منن التسميات التي تتصل بالعلوم الزراعية، ويذكر، بالنسبة إلى المصنفات الزراعية والطبيعية والطبيعة، أنه استقرأ ما وجد من "مصطلحات في مخطوطة كتاب الفرحة النبطية لابن وحشية، وفي

*- صدرت طبعته الأول بدمشق سنة 1943 والثانية بالقاهرة سنة 1957، ومن الطبعة الثانية صدرت نشرة عن دار مكتبة لبنان ببيروت سنة 1982)98+694+XI ص) وكانت الدار نفسها قد أصدرت هذا المعجم ، سنة 1987، بالانجليزية (بدل الفرنسية) والعربية بعنوان جديد هو: "معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية انكليزي - عربي". انظر حول الشهابي ومعجمه: عبد اللطيف عبيد: "المصطلح الفلاحي العربي: تاريخه وقضاياه"، مجلة المعجمية، العدد 8، تونس 1992 (ص69-122)،ص 116-119.

†- مصطفى الشهابي: "معجم الألفاظ الزراعية، فرنسي-عربي"، ط3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص (ج)من المدمة العربية.

كتاب الفرحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي (...)،ومخطوطة فضل الخيل لشرف لدين عبد المؤمن الدمياطي، والفرحة اليونانية لقسطا بن لوقا، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى، وحسن البراعة في علم الزراع لفيجري، والمادة الطبية لأحمد الرشيدي، والقانون لابن سينا، ومخطوطة الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، ومخطوطة الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسي الخ"*، وذلك بالإضافة إلى مفرادات ابن البيطار، وحياة الحيوان للدميري، وكشف الرموز لعبد الرزاق الجزائري، ورسائل الأصمعي في الخيل والنبات والشجر، "وعير ذلك من الكتب القديمة والكتب التي الفت في النهضة الحديثة في مصر والشام"†، وذكر الشهابي أيضا أنه اقتبس ألفاظا وضعها أو حققها مؤلفان معاصرون مثل أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان والمعجم الفلكي، وأحمد عيسى صاحب معجم أسماء النبات، ومحمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية، وماكس ما يرهوف الذي ترجم وصحح وغيره من المستشرقين والعلماء الأوربيين الذين درسوا نبيت البلاد العربية ووحيشها‡.

ويعد رجوع الشهابي غلى التراثين اللغوي والعلمي وإفادته منهما أسّس منهجيته المصطلحية القائمة على تفضيل التسمية القديمة سواء أكانت صحيحة عربية أم عربة أم مولدة شائعة . على غيرها من التسميات، فهو يقول: "كلما وجدت في المعجمات

* -المرجع نفسه، ص (ج) و (د) من المقدمة العربية.
†-المرجع نفسه، ص (ج) و(د) من المقدمة العربية.
‡-المرجع نفسه، ص (د) من المقدمة العربية.

العربية القديمة، أو كتب الزراعة والنبات والحيوان القديمة الموثوق بها، كلمة صحيحة عربية أو معربة، أو كلمة مولدة شائعة، لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الفرنسية أو العلمية، رجحت تلك الكلمة الصحيحة أو المولدة الشائعة على غيرها من الكلم، وإذا وجدت في المراجع المذكورة لمدلول الفرنسية أو العلمية كلمتين، واحد صحيحة، والثانية مولدة، رجحت الأولى على رفيقتها، أو ذكرتهما جميعا"*. ومن أمثلة المصطلحات التراثية في "معجم الألفاظ الزراعية" مصطلح الـ"قطل" الذي جعله الشهابي مقابلا للمصطلح الحراجي الفرنسي Abatage(ويقابله في الانجليزية المصطلح Felling) ومرادفا لـ "قطع" وفضله عليه . إذ ذكره قبل الثاني . لما في الأول من خصوص وفي الثاني من عموم، وعرفه بأنه "فصل الأشجار عن أروماتها وطرحها على الأرض "ثم ذكر أنه " في المخصص (لإبن سيدة) القطل قطع الشجر وفيه قطلت الشجرة أقطلها فتقطلت إذا ضربتها من أصلها"†.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين توسع استخدام اللغة العربي على الرغم من تعثر جهود التعريب، واتضحت فوضى المصطلحات العربية لأسباب عديدة يهمنا منها، هنا، قلة الجهود المنهجية والتطبيعية المبذولة في مجال إحياء المصطلح التراثي العلمي واللغوي ودراسته، بهدف الإفادة منه في وضع المعجم الحديث المختص‡،

---

*-المرجع نفسه، ص (هـ) من المقدمة.

†-المرجع نفسه، ص1.

‡-نذكر من البحوث والدراسات المهمة التي تناولت موضوع المصطلح التراثي:

ـ عبد الأمير الأعسم: "المصطلح الفلسفي عند العرب"، ط2 الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1989 ص 531.

وذلك لكون التسمية المصلحة الملائمة عندما توجد في التراث تكون مستقرة موحدة في الغالب، وبالتالي فإن استعمالها يساعد على تفادي الدلالة على المفهوم العلمي الواحد بأكثر مت تسمية*، إضافة إلى تلك التسميات التراثية غالبا ما تكون أيضا "أكثر دقة وأشد طلاوة من كلمة مرادفة لها في كتاباتنا العلمية المعاصرة"†.

ـ محمد السويسي: "لغة الرياضيات في العربية"، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس 1989 ص 602.
أما الأعمال التطبيعية ـ أي المعاجم المختصة التي أفادت من التراث إفادة منهجية نقدية واضحة ـ فقليلة وتكاد تقتصر، في رأينا، على هذين المعجمين الشهيرين:
ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ القوات المسلحة: المعجم العسكري، 2 مج: فرنسي ـ عربي (641ص) وانكليزي ـ عربي 816ص، دمشق 1961.
ـ مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الطبي الموحد: انكليزي ـ عربي ـ فرنسي، ط4، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1984، ص 99+760.

*-يرى غلي العسكري ومحمد زايد في: "المصطلحات العربية في علوم الأرض "(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 40 (نوفمبر 1977)، ص 146-156) أن "الرجوع إلى المراجع الخاصة بفه اللغة والمعاجم اللفظية الكبيرة ضروري لتوحيد التعبير في ترجمة المصطلحات العلمية وكم هي وفيرة في عددها ومعانيها ودرجاتها المختلفة" (ص146).
ويرى على القامسي في: "لماذا أهمل المصطلح التراثي "(المناظرة ـ مجلة مغربية فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج، س4، ع6 (دجنبر 1993)، ص 33-40) أنه "إذا كانت اللغة تتوفر على مصطلحات في تراثها، وعندنا إلى إغفال تلك المصطلحات وإهمالها، وعملنا على وضع مصطلحات جددية تعبر عن ذات المفاهيم التي تعبر عنها تلك المصطلحات التراثية، فإن ذلك سيؤدي إلى إحدى نتيجتين لا مفر منهما أو كلتيهما: إما انقطاع تواصل اللغة وانفصام استمراريتها ، وإما ازدواجية مصطلحية لا تخدم غرضنا في التعبيير الدقيق والتفاهم السريع" (ص35).
ويرى أحمد المتوكل في "استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: السنيات الوظيفية نموذجا "(المرجع نفسه، ص 49-56) أن " لاستعمال المصطلحات التراثية في مجال تعريب المفاهيم الغربية مزايا عملية كذلك فهو يسهم في توحيد المصطلح اللساني العربي المعاصر ويخفف، بذلك ، من البلبلة التي تسود في هذا الميدان (ص35).

†-جلال شوقي: "مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب"، مجلة مجمع اللغة العربية، 36 (نوفمبر 1975)(ص 171-195)، ص193.

وإن التسميات المصطلحية التراثية الدقيقة الصالحة للاستعمال الحديث في العديد من المجالات والتي غفل عنها المصطلحون ومؤلفو المعاجم الحديثة المختصة واستعاضوا عنها بمولدات أقل منها دقة وطلاوة، إضافة إلى ما تتصف به من تعدد وفوضى، تسميات أكثر من أن تحصى، ونحن نكتفي هنا بتقديم مثالين أولهما من مجال الجيولوجيا، وثانيهما من مجال الزراعة:

نجد في العديد من المعاجم الأجنبية العربية المختصة في الجيولوجيا والجغرافيا والطاقة والمياه وغيرها مقابلات كثيرة للمصطلح الجيولوجي الانجليزي Aquifer (وهو في الفرنسية Aquifére) الذي عرف بأنه "مكونة تشتمل على ماء (سرير أو طبقة)، وتتشكل من صخور نفاذة أو رمل أو حصى، وقادرة على توفير كميات ماء مهمة" وهذه المقابلات العربية مولدات اقتراحها المعاجم الصادر أغلبها في السنوات الثلاثين الأخيرة، ومنها: ذو ماء، محتو على ماء: طبقة صخرية مائية، مستودع ماء أرضي، طبقة حاوية للماء، تكون مائي، طبقة مائية، محتو ماء، طبقة حاوية للماء، تكون مائي، طبقة مائية، محتو ماء، طبقة خازنة للماء...الخ وقد غفلت كل المعاجم التي اطلعنا عليها . وعددها يزيد على العشرة . عن التسمية العربية الأصلية التي تتضمنها المعاجم اللغوية، بدءا من الرسائل اللغوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهي "الحسي" فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "حسي: الرمل المتراكم أسفله أمسك الماء ومنع الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء فنبع باردا

عذبا؛ قال الأزهري: الحسي، بالكسر، ما تنشفه الأرض من الرمل، فإذا (...) الجوهري: الحسي، بالكسر، ما تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل فتستخرجه، وهو الاحتساء..."[*].

ويتضح مما ورد في اللسان أن لفظ "الحسي" يؤدي المفهوم العلمي الذي تدل عليه التسمية المصطلحية الانجليزية Aquife أداء دقيقا لما بين ذلك المفهوم الجيولوجي والمعنى اللغوي للفظ العربية من تطابق تام مما يغني عن وضع تسمية جديدة، إضافة إلى أن التسمية العربية الأصلية تتوافر فيها معايير أخرى من معايير المقبولية؛ أهمها أنها تسمية مفردة مختصرة أحادية الدلالة، متواصلة الاستخدام إلى يومنا هذا في العديد من الأقطار العربية خاصة في مجال تسمية أعلام الأماكن.

ونجد في العديد من المعاجم الأجنبية ـ العربية المختصة في الزراعة وما يتصل بها مقابلات كثيرة للمصطلح الزراعي الانجليزي GREENHOUSE (HOTHOUSE أو GLASSHOUSE) وهو في الفرنسية: SEERE الذي عرف بأنه "بناء من زجاج تستنبت فيه الكبائر أو نباتات البلاد الحارة التي لا تتحمل شتاء بلادنا في الهواء الطلق"[†]، ثم حدث التعريف بسبب الاستعاضة عن

---

[*]-ابن منظور: "لسان العرب المحيط" ، مادة (حسا)

[†]- مصطفى الشهابي: "معجم الألفاظ الزراعية"، ط3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص 601 (المدخل: serre).

الزجاج، خاصة في بلادنا، بالأغشية (اللدائنية البلاستيكية) فأضيف إليه مايلي: "تجهيزات معدة لزراعة بعض الخضر والأزهار في غير أوانها (موسمها) لإكثار النباتات"*. والمقابلات العربية مولدات أيضا اقتراحها المعاجم أو استنبطتها وسائل الإعلام، وأهمها: دفيئة (وقد وضعه مجمع القاهرة)، مصري (وقد وضعه اللغوي العلامة الأب ماري أنستاس الكرملي)، وأم، صوبة، بيت مكيف، بيت استنبات، بيت أخضر، بيت زجاجي، ...الخ، وقد غفل مقترحو هذه المولدات ومرتجلوها عن تسمية عربية مولدة قديما حفلت بها بعض كتب الفرحة الأندلسية وهي "البيت المكن" فقد ورد هذا المصطلح في "كتاب الفلاحة" لابن بصال . وهو من علماء الفرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد . عند حديثه عن زراعة خيار شنبر الذي قال عنه إنه "يوافقه من الأرض والهواء مثل ما يوافق المخيطا إلا أن غراسته تكون في شهر يناير ويحين نباته في أبريل، فإذا نبت وقر فصل الشتاء حجب عنه وأدخل في البيوت المكنة بالليل لئلا يترل عليه الجليد لأن الحريق يسرع إليه ويخاف عليه ذلك في البلاد البادرة"†ويتضح من عبارة ابن بصال أن "البيت المكن" أو، إن شئنا اختصارا، "المكن" تسمية تؤدي المفهوم التقني الزراعي الذي تدل عليه التسمية الانجليزية greenhouse أداء دقيقا خاصة أن هذه التقنية الزراعية (الكن) قد عرفها الأندلسيون منذ القرن الخامس الهجري أو

*-المجلس الدولي للغة الفرنسية ووكالة التعاون الثقافي: "القاموس الزراعي: فرنسي - عربي" باريس 1985، (61-525+xix ص) ص396 (المدخل:serre).

†-ابن بصال: "كتاب الفرحة"، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي مارية مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان 1955،(182+231)، ص 85.

حتى قبله، وسموا وسيلتها التي لا تختلف عن الوسيلة العصرية إلا في مادتها، والتسمية العربية التراثية سواء في صيغتها المركبة أم المعدلة المفردة ، موحدة، موحية بالمفهوم، قابلة لأن تتوالد مها تسميات أخرى ضرورية للدلالة على سائل عناصر المنظومة المفهومية أهمها "الزراعة المكنونة" التي نقترحها مقابل" culture sous abri" وبدلا من التسميات العربية الأخرى مثل "زراعة تحت وقاء".

والحق أن وعي ضرورة استثمار التراث العلمي والذي تواصل في النصف الثاني من القرن العشرين قد عرف بعض التطبيقات العملية الجديدة التي أملاها تطور المعلوماتية وقواعد المعلومات من جهة وازدهار علم المصطلح وإنشاء بنوك المصطلحات في بعض البلدان الصناعية من جهة أخرى. ففي جامعة محمد الخامس بالرباط تأسس، في بداية السبعينيات، "معهد الدراسات والأبحاث للتعريب" الذي أنشأ قاعدة بيانات مصطلحية وصفية، بهدف تدارك نقص رئيسي يعانيه ضبط المصطلحات العربية، وهو "انعدام المدونات اللغوية التي قد تسمح باستغلال منتسق للأعمال المعجمية القديمة والحديثة من أجل تنظيم المعجم الحالي وملء الفراغات الموجودة بالمنهل من كنوز العربية الفصيحة"[*]؛ إذ "من الضروري أن ندرس ونستغل طاقة العربية منهجيا لا فوضويا فبدون رصيد من المعلومات والوثائق اللسنية يكون من الوهم القيام بإصلاح جدي..."[†]وفي

---

[*]-أحمد الأخضر غزال: "المنهجية العامة للتعريب المواكب"، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1977 ص82، ص39.

[†]- المرجع نفسه، ص 47، وانظر للمؤلف نفسه: "المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية" ـ القسم الأول: البحث عن الألفاظ الموجودة في بطن اللغة، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط (د ت)، ص 40.

بداية الثمانينيات تأسس البنك الآلي السعودي للمصطلحات: "باسم"[*]لتحقيق مجموعة من الأهداف في مقدمتها بناء معجم موسوعي آلي عن طريق توثيق بياناتها، على أن المؤسس المذكورتين قد قصّرتا جهودهما التوثيقية على المعاجم الحديثة المختصة وبعض المعاجم اللغوية الحديثة والقديمة، فلم يساعد على الإفادة من تطور تقنيات التوثيق المصطلحي المحوسب في استثمار الرصيد التراثي المصطلحي والمعجمي الاستثمار الأمثل.

وقد ترتب على غياب مقاربة منهجية دقيقة لموضوع المصطلح التراثي وندرة الأعمال التطبيقية المتكاملة المستثمرة لهذا المصطلح في وضع المعجم الحديث المختص استمرار القطيعة شبه التامة بين ماضي المصطلح العربية وحاضره، والتعسف في

[*]انظر مثلا: عبد الله سليمان القفازي: "نحو إستراتيجية مدعمة بالحاسب لمعالجة ونشر المصطلح الطبي العربي"، اللسان العربي، 43 (1997) ص 157-190.

استعمال المصطلح التراثي؛ لا سيما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية،[*] وهو ما يحتم تأسيس وتطوير علم تاريخ المصطلح التراثي من أجل ضبط القيمة التاريخية والعلمية واللغوية الحقيقية للمؤلفات الاصطلاحية"[†].

وقد اهتمت بعض الدراسات[‡] باقتراح معالجة للرصيد المصطلحي العربي، بما فيه الرصيد التراثي، تقوم على أربع خطوات، هي جمع التسميات المصطلحية وحصرها،

---

[*]-يرى محمد عابد الجابري في "حفريات في المصطلح ـمقاربات أولية" (المناظرة ـ مجلة مغربية فصلية تعني بالمفاهيم والمناهج، ص4، ع6، دجنبر 1993، ص 9-23) متحدثا عن تجربة رواد النهضة العربية الحديثة"أن استعمال المصطلح التراثي، أو إعماله، للتعبير عن معطيات الحضارة الحديثة عملية محفوفة بالمخاضر (...)فالمصطلح التراثي في هذه الحالة، المشدود إلى مرجعية خاصة تختلف عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها عن مضامينها الجديدة ليشدها إلى مضامين مغايرة تماما..(ص22).

ويرى أحمد المتوكل في "استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيا الوظيفية نموذجا" (المرجع نفسه، ص 49-56)أنه "يتوقف استقرار المصطلح المستعار في النسق النقول إليه، بوجه عام، على مدى نجاح عملية إفراغه من المفهوم الذي كان يدل في نسقه الأصلي وعملية الإفراغ هذه تعني، في الواقع، أن المستعمل للمصطلح أصبح قادرا على أن يفصل فصلا تاما بين الحمولة المفهومية القديمة لهذا المصطلح وبين ما أصبح يرمز إليه في الاستعمال الجديد ، ويبدو ل أنه من العسير جدا أن يحدث هذا في العالم العربي لما للفكر اللغوي العربي القديم من حضور (....) وينتج عن ذلك، في ذهن المتلقي، تضارب بين المفاهيم تكون الغلبة فيه، غالبا، للمفهوم القديم من شأن هذا طبعا، أن يشكل أحد العوائق الأساسية التي تحول دون استيعاب النظريات اللسانية الحديثة..."(ص55).

[†]- من توصيات ندوة "المصطلح التراثي بين الإعمال والاهمال التي نظمتها مجلة "المناظرة" المغربية يومي 29و1991/5/30 بالرباط انظر مجلة المناظرة، العدد المذكور سابقا، ص7.

[‡]- انظر: سعد مصلوح "رصيد مصطلحي بغير استثمار ـ مثال من حقل اللسانيات"، وقائع ندوة التعاون العربي في مجال المصلحات علما وتطليقا (تونس 1986/10/7) المعهد القومي للمواصفات والملكية الثناعية، تونس 1989 (523+141ص) ص256-276 ويقدم علي السكري في "علم الأرض وفقه اللغة العربية" (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 38 (1976) (ص 136-139) مفترحا علميا طريقا لاستثمار الرصيد المصطلحي العربي إذ

وتحرير تصوراتها (أي مفاهيمها)، وغربلتها لاستبعاد ما لا يصلح منها للدلالة على المفاهيم، وتخصيصها أي إقامة علاقة أحادية بين التسمية والمفهوم، بما يساعد على إحياء التسميات التراثية وتحديثها وإعمالها وتثبيتها في مجالاتها، ويزيل الفوضى المصطلحية نهائيا.

ويتضح مما سبق أن دور التراث العلمي واللغوي في وضع المعجم العربي الحديث المختص قد كان دورا محدودا في الغالب، وذلك على الرغم من الانتباه إلى أهميته بل ضرورته منذ بدايات العمل المصطلحي العربي الحديث في عصر النهضة إبان ترجمة الشيخ محمد بن عمر التونسي وزملائه "قاموس القواميس الطبية" من تأليف الفرنسي "فابر".

ولا تكاد الدعوات المتكررة إلى إنشاء مدونات مصطلحات التراث تضيف جديدا إلى ما رأيناه من بعض توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الأربعينيات والخمسينيات وقد برهنت المعاجم التي وضعها بعض أعلام المصطلحيين منذ عشرينيات هذا القرن (20) والبحوث والدراسات التي أنجزها المختصون في العلوم عامة والعلوم العربية خاصة أن التراث العلمي واللغوي يمثل موردا ثرا لا غني عنه للمعجم العربية الحديث المختص، وأنه "لا يعد عدم الإلمام باللغة العربية دليلا على قصور هذه اللغة في

يقول: حبذا لو اتبعنا أسلوبا جديدا في ترجمة المصطلحات العلمية، فبدلا من أن نترجم المصطلح الأجنبية سواء كانت الانجليزية أم الفرنسية أم الألمانية " (ص 138).

التعبير وبالأخص في المجالات العلمية المختلفة"[*] على أن قضية التراث المصطلحي قد لا تكون، في نهاية المطاق، إلا جانبا من جوانب قضية أعم هي قضية واقع العلم والتعبير العلمي باللغة العربية في الوطن العربي، وقضية العجز عن تجنيد الطاقات الذاتية لتحقيق التنمية المنشودة الأصيلة والشاملة.

[*]- علي السكري وزايد محمد زايد: "المصطلحات العربية في علوم الأرض..."، المرجع المذكور سابقا، ص 164.